بسم الله الرحمن الرحيم
Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj
https://doi.org/10.52981/oiuj . v22i1.3468
ISSN: 5361-1858
2026; 22(1); 579 –599

الأثر الثقافي لامتداد الفقه المالكي في السودان

د. نورالدين عوض الكريم إبراهيم بابكر[1]

[1] الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – قسم الفقه و أصوله – جامعة أم درمان الإسلامية

للاستشهاد بهذا المقال:

د. نورالدين عوض الكريم إبراهيم بابكر ، امتداد الفقه المالكي في السودان تـاريخياً وجغـرافياً وأثره الثقافي.، مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

ISSN: 5361-1858

https://doi.org/10.52981/oiuj .v21i3.3366

المستخلص:

الحمدلله رب العالمين والصالة والسلام الاتمان الأكملان على خير خلق الله أجمعين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وبعد ، فهذا بحث علمي حول الأثر الثقافي لامتداد الفقه المالكي في السودان.

وقد تضمن البحث مقدمة وتوطئة حول دخول الإسلام إلى السودان وثلاثة مباحث ، كان المبحث الاول منها حول تاريخ دخول الفقه المالكي إلى السودان عبر عدد من العلماء والمشايخ ، ثم المبحث الثاني حول انتشار الفقه المالكي في البلاد وأبرز العلماء الذين أسهموا في ذلك ، ثم يأتي المبحث الثالث متحدثاً عن دور المذهب والفقه المالكي كأحد أبرز عوامل ومكونات الهوية الثقافية والفقهية السودانية باعتباره يمثل المشترك الفقهي لأهل البلاد . وقد ظهر الأثر الثقافي للمذهب المالكي في الحياة السودانية بمختلف مجالاتها كالتعليم العام وتعليم المرأة والقضاء ونحو ذلك. وتتمثل الإشكالية المعرفية لهذا البحث في الكشف عن الأثر الثقافي لإنتشار الفقه المالكي في السودانى ، وقد عالجت ذلك من خلال المنهج الاستقرائي والتحليلي ، ثم ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات والتي منها :

الأثر الواضح الكبير لعلماء المغرب العربي في نشر الفقه المالكي في السودان.

قوة تأثير الفقه المالكي في مختلف جوانب حياة السودانيين الإجتماعية والثقافية والسياسية.

ومن أبرز التوصيات: ضرورة اهتمام الجامعات والمراكز البحثية بمزيد من الدراسات في تاريخ الفقه المالكي في السودان.

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of all worlds, and may the most complete and perfect blessings and peace be upon the best of all creation—our master and Prophet Muhammad, his family, his companions, and all who follow them.

This is a scholarly research paper on : The cultural impact of the spread of the Maliki school of jurisprudence in Sudan.

The study includes an introduction and a preface discussing the entry of Islam into Sudan, followed by three main chapters. The first chapter explores the historical background of how the Maliki school was introduced to Sudan through various scholars and sheikhs. The second chapter examines the spread of the Maliki jurisprudence throughout the country and highlights the most prominent scholars who contributed to this expansion. The third chapter discusses the role of the Maliki school as one of the key elements and foundations of Sudanese cultural and legal identity, as it represents the common jurisprudential framework among the people of Sudan.

The cultural influence of the Maliki school has clearly manifested in various aspects of Sudanese life, including general education, women's education, the judiciary, and other fields.

The research problem lies in uncovering the cultural effects of the spread of the Maliki school in Sudan, which has been addressed through an inductive and analytical methodology.

The study concludes with a summary of the main findings and recommendations, including:

The significant and evident role of North African scholars in spreading the Maliki school in Sudan.

The profound influence of Maliki jurisprudence on the social, cultural, and political life of the Sudanese people.

Among the key recommendations is the **need for universities and research centers to give greater attention to further studies on the history of the Maliki school in Sudan.**

المقدمة:

تأتي أهمية هذا البحث كونه يتعلق بالاثر الثقافي للفقه المالكي ، أو المذهب المالكي عموماً على أهل السودان، حيث يعد هو المذهب الرئيسي للبلاد ، وأن معظم العلماء والدعاة والمشايخ الذين دخلوا السودان ناشرين للعلم الشرعي وداعين إلى الله كانوا من أهل هذا المذهب خصوصاً الذين قدموا من صعيد مصر أو من بلاد المغرب ، فكان أن تكونت الهوية السودانية الفقهية والعلمية على هذا الفقه خاصة بعد قيام السلطنة الزرقاء أو مملكة الفونج ، حيث شهدت البلاد نوعاً من الاستقرار السياسي والاجتماعي ، وتوحدت معظم أراضى السودان الحالي تحت لوائها ، فأدى ذلك إلى استقطاب العديد من هجرات العلماء من البلاد الاخرى إلى أرض السودان ، فاصبح المذهب المالكي هو السائد في القضاء والفتوى وعامة حياة الناس.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الاتي:

الكشف عن بداية دخول الاسلام إلى السودان وارتباطه بالهجرات العربية الأولى.

بيان مراحل دخول الفقه المالكي إلى السودان وامتداده جغرافياً وتاريخياً والتحول الإسلامي الذى حدث في البلاد.

الكشف عن أبرز العلماء والفقهاء الذين أسهموا في نشر الفقة المالكي في السودان واعتنوا بتدريسه.

بيان الأثر الثقافي الذي أحدثه الفقه المالكي على أهل السودان في مختلف جوانب حياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية وغيرها.

مشكلة البحث:

تتمثل الإشكالية المعرفية لهذا البحث في الكشف عن انتشار الفقه المالكي في السودان وأثره الثقافي على مجتمع السودان من خلال العلماء أو الفقهاء المالكيين الذين أسهموا في ذلك.

تساؤلات البحث:

كيف توغل الإسلام إلى بلاد السودان وأثر الهجرات العربية في ذلك؟

ما أبرز امتدادات الفقة المالكي في السودان وقنوات انتشاره؟

ما أثر علماء وفقهاء المالكية الوافدين في انتشار الفقه المالكي في السودان؟

ما الأثر الثقافي لانتشار الفقه المالكي على أهل السودان.

اشكالية البحث :

من خلال إطلاعي على الكتابات السابقة في انتشار الفقه المالكي في السودان والبحث في دار الوثائق السودانية وجمعية الإمام مالك الفقهية ، لم أجد من الدراسات ما يستوفي جانب الأثر الثقافي لهذا الفقه الجامع الواسع في حياة السودانيين ، وإنما كان تركيز هذه الدراسات أكثره في الجوانب الفقهية وجوانب الأحكام . ولهذا أرى أن دراستي هذه ستسد حيزاً مقدراً في هذه اللحظة ، مع الحوجة للمزيد من مثل هذه الدراسات.

منهج البحث:

لمعالجة إشكالية هذا البحث قمت باستخدام المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع مجالات انتشار الفقه المالكي في السودان وبيان أثره الثقافي في جميع مناحي حياة أهل السودان ، وكذلك استخدمت المنهج التحليلي لما جرى من أحداث وحركة علمية للعلماء والفقهاء وجهودهم المتعددة في مجال الدعوة والتدريس وغيرها.

هيكل البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ثم الأهداف التي سعى البحث إلى تحقيقها ، ثم مشكلة البحث والتساؤلات التي يجب عليها ، كذلك شملت المقدمة توطئة عن اتصال العرب بالسودان قبل الإسلام وبعده.

المبحث الأول: تاريخ دخول الفقه المالكي إلى السودان.

المبحث الثاني: أهم شيوخه ومناطق انتشاره.

المبحث الثالث: أثر الفقه المالكي في تكوين الهيئة الثقافية السودانية.

الخاتمة والتي شملت على أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد :

دخول الإسلام إلى السودان:

يشكل السودان بموقعه الجغرافي المتميز الذي يتمتع به ، معبراً رئيسياً لهجرات بشرية عديدة ، وتيارات حضارية متباينة ، كما جعل منه موقعه مركز تفاعل وتلاقح بين المؤثرات الحضارية الوافدة من جانب ، وبين الموروثات المحلية من جانب آخر.

وتذكر المصادر التاريخية أن هناك أربعة معابر عبر بها العرب إلى بلاد السودان قبل الإسلام وهي : برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء ، معبر البحر الأحمر ، وباب المندب ، والمعبر المصرى المباشر ، حتى كونت ما يمكن أن يطلق عليه مجتمعات شبه عربية ، قبل ظهور الإسلام وانتشاره في تلك المناطق. [1]

ولقد ازدادت تلك الموجة من الهجرات العربية إلى بلاد السودان وازداد تأثيرها واتسع مداها بظهور الإسلام وخاصة بعد ما فتح العرب المسلمون مصر ، ووقعوا اتفاقية الهدنة مع النوبة عام 3هـ الموافق 651م . [2]

وعرفت هذه الهدنة باتفاقية (البقط) والتي وقعها الصحابي الجليل عبدالله بن سعد بن أبي السرح ، حيث كان والياً على مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهما مع ملك النوبة "قليدروس" والبقط معناه : ما يقبض من سبي النوبة لكل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم ، وكان من شروط هذه الاتفاقية صيانة المسجد الذي بناه والمسلمون في دنقلا وإنارته واسراجه وتكريمه . وحماية التجار وغيرهم من المسلمين الذين يطرقون بلادهم . وكذلك اشترطوا عليهم دفع ثلاثمائة وستين رأساً من أوسط عبيدهم وهو الذي يعرف :بالبقط" وبذلك وضع عبدالله بن سعد بن أبي السرح الاساس الذي مهد الطريق لما حدث فيما بعد من تغلغل العرب المسلمين في هذه البلاد[3] حيث تسرب العرب أفراداً وجماعات في يسر وبطء على بلاد البجة ومملكتي النوبة "المقرة وعلوة" المسيحيتين سعياً وراء المرعى وطلباً للتجارة والرزق ، وكان توغلهم هذا عن طريقين أساسيين[4] أولهما : من مصر عن طريق نهر النيل وثانيهما من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق موانئ

[1] احمد بن علي بن عبدالقادر المقريزى (ت 845هـ) ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عابدين ، الطبعة الاولي 1961م ، عالم الكتب ، القاهرة، ص 141 –142 .

[2] أحمد بن علي عبدالقادر المقريزى : المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والاثر ، ج1 ، طبع دار صادر بيروت بدون تاريخ، ص20.

[3] المقريزى ، البيان والاعراب ، ص 143–144.

[4] يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسالميةة في السودان الشرقي ، ص 13.

باضع وعيذاب وسواكن التي كان منشأها وازدهارها متصلين إلى حد ما بهيمنة المسلمين علي معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية وانشغالهم بنقل البضائع الهندية والحجيج بين تلك الموانئ وصعيد مصر.

وهنالك طريق ثالث دخلت منه بعض المؤثرات الاسلامية والعربية إلى السودان ، وكان ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي ، وبعد قيام الدول الإسلامية المستقلة عن الخلافة العباسية في كل من مصر والمغرب وذلك هو الطريق الغربي أو الشمالي الغربي[1] فإن هذا الطريق قد أسهم بدور كبير وفعال في اثراء حركة الهجرة العربية إلى تلك المناطق ثم إلى قلب القارة الافريقية ، ذلك لان الطريق الشمالي الغربي ، أو الطريق الليبي قد وفدت منه جماعات عربية أخرى ، استطاعت أن تتجه عبر السهول والبراري الواقعة بين النوبة واقليم تشاد نحو دارفور.

ذلك لأن الكثرة العظمي من القبائل العربية نزلت إلى تلك المناطق في غرب السودان إلى برنو ووداي ، واستقرت بها حيناً من الوقت ، ثم تحركوا شرقاً إلى كردفان ودارفور ، بل إن بعض قبائل البقارة التي قدمت إلى السودان تؤكد أن أجدادهم جاءوا من تونس إلى الأقطار الواقعة إلى الغرب من دارفور بعد أن أقاموا فيها فترة من الزمن ، ثم اخذوا يهاجرون إلى كردفان ودارفور بغربي السودان ، وكذلك كان الامر بالنسبة للعرب الذين نزحوا من الأندلس أثر سقوط آخر الممالك الاسلامية (مملكة غرناط 1493) إذ اتجه بعض من هؤلاء إلى شمال إفريقيا ، وواصل البعض الآخر هجرته نحو إقليم تشاد ، ومنه إلى الإقليم الغربي للسودان في دارفور[2].

ويعتبر العهد المملوكى (1517 –1250هـ) نقطة تحول حاسمة في علاقة مملكة النوبة أو المقرة بمصر الإسلامية ، إذا بدأ ملكهم داؤود بالاعتداء على مصر فأرسل له المماليك حملة عسكرية تبعها عدد كبير من المجموعات العربية ، كقبائل بني بكر وعمر وبني شريف وبني شيبان وبني الكنز وبني هلال وغيرها ، وقيل إن هذا الجيش الذي أرسله السلطان قلاوون لغزوو النوبة عام 1289م ، كان يضم ما لا يقل عن أربعين الفاً من الأعراب. [3]

وقد كانت حملات سلاطين مصر ، من أهم الإسباب التي أضعفت السياج السياسي لنظام الحكم في بلاد النوبة ، ومهدت لغلبة العرب الذين إستطاع روادهم من بني الكنز . اعتلاء عرش النوبة في سنة 1323م ، معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الأُم ، وعلى تأييد النوبة المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش

[1] المقريزى ، البيان والاعراب ، ص 147 ، مرجع سبق ذكره.

[2] يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ، ص 13–14.

[3] المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوكة ، 1 ، نشر وتحقيق محمد مصطفي زيادة ، القاهرة 1939م، ص749.

المملوكة ، فانتقلت السلطة داخل الأسرة الحاكمة من فرع نوبي مسيحي خالص ، إلى فرع نوبي مسلم مستعرب ، وبسقوط مملكة المقرة المسيحية في أيدي المسلمين انهار السد المنيع الذي كان لعدة قرون ، يحول دون توغل العرب في حوض النيل الأوسط ، ومن ثم انزاحت القبائل الساخطة على نظام الحكم المملوكى في مصر إلى بلاد النوبة ، ثم إلى المراعي الواسعة عبر صحراء العتمور.[1]

وعند سقوط المملكة النوبية المسيحية في عام 1317م تدفق العرب في أعداد كبيرة دون رقيب متابعين مسيرتهم عن الطريق الشرقي لوادي النيل إلى أرض البطانة ، والجزيرة ، ثم إلى سهول كردفان ودارفور ، حيث التقوا بمجموعة أخرى كانت قد تابعت شاطئ النيل الغربي ، واستقر هؤلاء في سهول أواسط السودان الغنية بالمرعي.[2]

وهكذا أطبق العرب المسلمون على السودان من كل الجهات ، كانت النتيجة الحتمية أنه منذ القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل ظهرت عدت ممالك ومشيخات إسلامية في حوض النيل الاوسط ، وكان لظهورها أثر كبير وخطير في تطوير الحياة الاجتماعية والسياسية ، مما ساعد على زوال بعض الأسس التي قامت عليها المملكة المسيحية في علوة ومن ثم تسرب الإسلام بقوته الروحية إلى مملكة علوة ، ونتيجة لضغوط هذه المشيخات حصل أن سقطت علوة وعاصمتها سوبا ، في أيدي المسلمين ودخل السودان في مرحلة جديدة من تاريخه.[3]

[1] انظر : يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية ، مرجع سابق ، ص15.

[2] يوسف فضل، انتشار الاسلام في افريقيا ، مطبعة دار جامعة الخرطوم للطباعه والنشر ، 1979م، ص14 .

[3] مهدي رزق الله ، السلطة السنارية ودورها في الحياة الالامية السودانية ، مقال بمجلة الدار التي تصدر عن ادارة الملك عبدالعزيز بالرياض ، العدد الاول ، السنة السادسة عشر ، 141هـ، ص169.

المبحث الأول: تاريخ دخول الفقه المالكي إلى السودان

بعد سقوط الممالك المسيحية بالسودان وقيام دولة الفونج أو السلطنة الزرقاء (1821-1504م) إنفتح الباب على مصراعيه للدعوة الاسلامية في البلاد ، فصاحب ذلك هجرات كثيفة لجماعات وقبائل إسلامية ، وكذلك دخل عدد من العلماء والفقهاء من بلاد المغرب إلى وسط السودان وغربه يحملون الفقه المالكي الذي ترسخ عندهم ، ويذكر الدكتور يوسف فضل في مقدمته لكتاب الطبقات ، قدوم الشيخ حمد أبو دنانة صهر عبدالله بن محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب ، والذي يروى أنه قدم السودان في القرن الخامس عشر واستقر في منطقة سقادي غرب ، الواقعة غرب مدينة المحمية على نهر النيل وكان قدومه يمثل الطلائع الاولى لفقهاء المذهب المالكي قبيل قيام دولة الفونج[1].

ثم بعد قيام دولة الفونج شهد قدوم الشيخ محمود العركي من مصر وقد أخذ العلم فيها عن الشيخ الناصر اللقاني وشمس الدين اللقاني الذي علم الناس الفقه المالكي وسكن في منطقة النيل الابيض وأسس سبع عشره خلوة في هذه المنطقة ثم شرع في تعليم الناس حيث وجد المنطقة في جهل كبير وبدأ بالدروس العلمية المنظمة[2].

يقول الشاطر بصلي: (وقد تميز عهد السلطان عدلان بهجرة كثير من العلماء من مصر والمغرب والجزيرة العربية وغيرها إلى السودان ، ومن هؤلاء العلماء من رجال الدين الشيخ حسن ود حسونة الاندلسي ، والشيخ إبراهيم جابر البولادي والشيخ محمد المصرى ، وقد ادخل هؤلاء الطريقة الصوفية إلى البلاد[3].

ثم في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وأيام ولاية الشيخ عجيب المانجلك قدم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى دار الشايقية ودرس فيها الفقه المالكي ومنها انتصر خليل ، والرسالة ، فانتشر علم الفقه المالكي ، ثم قدم بعد ذلك الشيخ التلمساني المغربي[4].

وقد اهتم هؤلاء العلماء كما يذكر صاحب الطبقات بتحفيظ القرآن للنشء وتدريس التوحيد و الفقه على المذهب المالكي ، بينما تبعت القلة مذهب الإمام الشافعي ، ومرد ذلك إلى أن معظم من هاجر إلى السودان من القبائل العربية جاء من صعيد مصر الذى عرف بشيوع المذهب المالكي بين سكانه ، ثم إن أول من أسهم

---

[1] ابن ضيف الله ، كتاب الطبقات بخصوص الاولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، تحقيق يوسف فضل، ص3.

[2] انظر: عبدالرحمن محمد عبدالماجد والكبيدة، اقر التصوف في تكوين الشخصية الورالسودانية ، مطبعة هيثم الخرطوم ، الطبعة الاولى 1434هـ ، 2013م، ص20.

[3] الشاطر بصلي عبد الجليل ، تاريخ وحضارات السودان ، نشر المكتبة العربية ، القاهرة ، 13092هـ /1972م ، ص254.

[4] ابن ضيف الله ، الطبقات ، المصدر السابق ، ص3.

بنشأة التعليم الإسلامي الصحيح من العلماء السودانيين أمثال محمود العركي وابراهيم البولاد بن جابر كانوا قد درسوا الفقه المالكي على أجلة علماء المذهب المالكي بالأزهر.

وقد أدخل إبراهيم بولاد الذي مر ذكره تدريس كتابين هامين من كتب الفقه المالكي في السودان هما : الرسالة لأبي زيد القيرواني ، ومختصر خليل بن إسحاق[1].

ومن الذين كان لهم دور في دخول الفقه المالكي الشيخ محمد القناوى المصرى بعد أن درس في مصر على كبار العلماء ، فقد ذكر عنه صاحب الطبقات أنه أخذ العلم من الشيخ سالم السنورى والشيخ يوسف الزرقاني والد عبدالباقي شارح "خليل" كان قدومه بلاد الفونج أول النصف الثاني من القرن العاشر في زمن الشيخ عجيب، ودخل بربر ومدينة أريجي وسنار ، ثم إستقر به المقام في بربر ، وقال هواها طيب من جميع البلاد، وبني بها مسجداً لتدريس الرسالة والعقائد والنحو وسائر العلوم وولى القضاء وباشره بعفة ونزاهة وحرم الرشوة على الحكم ونهى عنها ، قيل له إن قناوي ولدك أرتشي في أحكامه فركب دابة من السوق ورفع ثوباً ابيضاً وقال : قناوى ولدي إرتشي حكمه بطل ، هذا العالم هاجر بعلمه من بلاده مصر إلى السودان بعد أن تجول في عدة مدن أختار بربر في المنطقة الشمالية[2].

ومما يلاحظه الناظر إلى حالة الشيخ محمد القناوى يقف على عدة إشارات منها: أن العلماء والفقهاء على وجه الخصوص يهاجرون من أجل نشر أمانة العلم ، منها: أن العالم قد يتحمل نفقات باهظة في سبيل أداء رسالته ، فالشيخ قد بني مسجداً في مدينة بربر من أجل تدريس وتعليم الناس أمور الدين.

ومنها أن الفقهاء يستجيبون إلى تولي القضاء إذا طلب منهم ذلك وقد فعلها أكثر من فقيه ، منهم: الشيخ محمد القناوى ، ثم إن الشيخ من ورعه وعلمه يبطل حكم إبنه على رؤوس الإشهاد دون أدنى مجاملة ، ثم يضاف إلى ذلك أن الشيخ محمد القناوى طبق الأحكام الفقهية عملياً ، فكان يعامل الذين من حوله بالقرض والسلم في حماسة وحسن معاملة.

يضاف إلى ذلك تقاطر العلماء المغاربة إلى السودان وجلهم أو كلهم من أتباع المذهب المالكي وأيضاً كل العلماء الذين دخلوا على السلاطين خاصة في ممالك غرب السودان وعملوا كمستشارين ، كانوا من فقهاء المالكية ، وهكذا مما أشار إليه الشيخ محمد بن عمر التونسي في كتابة عن رحلته في دارفور غربي السودان[3].

---

[1] انظر : ابن ضيف الله ، الطبقات ، ص3.

[2] انظر: المصدر السابق ، ص100.

[3] انظر: عبدالرحمن الغيث ، تاريخ الفقه الاسالمي في السودان ، شركة مطابع السودان للعملة بدون ذكر سن الطبع، ص16.

ويذكر الدكتور يوسف فضل أن مما ساعد على انتشار الفقه المالكي في السودان ما يتعلق بطبيعة المذهب المالكي الذي لم يأخذه تنقيح الحضارة كما وقع في غيره من المذاهب الأخرى الأمر الذي يتفق مع حياة البداوة الغالبة على أهل السودان[1].

أما مصادر الفقه المالكي بالسودان كما يذكر إبن ضيف الله لم تقتصر فقط أو تقف عند معرفة العلماء ببعض كتب المذهب مثل "الرسالة" و"مختصر الخليل" بل كان هناك كتب أخرى متداولة في عهد الفونج مثل "المدونة" لأسد بن الفرات وسحنون وشرحها لأبي عمران النجومي ، وفتح الجليل على مختصر خليل لـ محمد بن إبراهيم التتائى ، ومختصر الأخضرى في العبادات وحاشية على مختصر خليل ، لأبي عبدالله الخراشى ، وشرح الشبراخيتي على العشماوية ، ولما ازداد الوعي الثقافي أخذ بعض الفقهاء السودانيين يقلدون رصفاءهم في العالم الإسلامي في كتابة الشروح والحواشي مثل شرح مختصر خليل ، لكل من مختار بن جودة الله ، وضيف الله بن على ، والحاشية على مختصر خليل لـ محمد بن عبدالله الأغبش ، كما اعتني فقهاء السودان بفقه الميراث المعروف بعلم الفرائض ، وذلك لحاجتهم العملية لتقسيم الأراضى الزراعية وغيرها من المواريث ، فكان ممن نبغ في هذا الفن الشيخ ابراهيم بن عبودي المشهور بالفرضي ومؤلف الحاشية المشهور بالفرضية وكذلك مالك بن عبدالرحمن حمدتو الذي ألف ثلاث حواشي على الميراث كبرى ووسطى وصغرى ، وكان في غاية الإفادة لطلبة العلم[2].

ورغم ظروف عدم تطور الطباعة وصناعة الورق وقتها ، اللهم إلا ما يعرف بمطبعة الحجر ، وهي نوع بدائى في علم الطباعة ، ورغم ذلك نشط عدد من العلماء في جمع الكتب الفقهية مثل الشيخ عمار بن عبد الحفيظ الذي أتى بنحو رحلين أو ثلاثة من الكتب ، وكان للشيخ إبراهيم بن نصر خزانة من الكتب ، وجمع محمد ود دولب كتباً كثيرة منها : شرح الأجهورى والخراشي ، كما اهتم الفقيه حامد اللين بجمع الكتب وهو أول من أحضر شرح عبدالباقي على خليل في السودانى والشبراخيتي على العشماوية ، وقد باع عبداً له ليشترى بثمنه كتاب "الشبراخيتى على خليل" وغير ذلك ومنهم من له حمل ثلاثه إبل من الكتب[3].

[1] في مقدمته لكتاب الطبقات ، ص4.

[2] ابن ضيف الله ، الطبقات ، ص4.

[3] انظر: عبدالرحيم ابو الغيث ، تاريخ الفقه الاسلامي في السودان ، ص40.

المبحث الثاني : أهم شيوخه ومناطق انتشاره

في هذا المبحث سيتناول الباحث نماذج لجهود العلماء الذينة أسهموا في نشر الفقه المالكي في السودان سواء كانوا من علماء المغرب أو العلماء السوادنيين.

أولاً: نماذج لجهود مشايخ العلماء المغاربة:

كان لعلماء وفقهاء المغرب جهود عظيمة في نشر الإسلام في أفريقيا وتدريسه ، الأمر الذي أثمر جهوداً كبيرة في حفظ الإسلام ونشره ، فكان للسودان نصيب الأسد من هذه الجهود العلمية المباركة ، وذلك من خلال هجرة هؤلاء العلماء إلى السودان الشرقي ، فحدث التلاقح الفكري والثقافي الكبير وكان من بين أولئك العلماء[1].

1. الشريف عبدالمنعم بن الشريف عبدالعزيز ، الذي يعد أول من أدخل الطريقة التجانية بالبلاد.
2. العلامة أحمد بن محمد بن ناصر السلاوي الفاسي الذي كانت له جهود ضخمة في تحديث النظام القضائى السوادني وتشجيع الطلاب على الكتابة والتأليف.
3. الشريف الوزاني الفاسي ، الذي زار السودان واستفاد الناس من علمه وتصانيفه في العلوم الشرعيه وعلم النحو.
4. الفقيه محمد بحرى الفأسي ، الذى هاجر إلى السودان واستقر بمنطقة الحلفايا شمال الخرطوم وكانت له نيابة القضاء وحلقة علمية مشهورة.
5. الشريف عبدالله الشريف الفاسي ، الذي استقر بمنطقة شمال الخرطوم واشتهر بالورع والتقي وإلتزام السنة وإرشاد الناس إلى طريق الله وكان بحراً في العلوم.
6. الشيخ أحمد بن إدريس الميلحي المشيشي ، مؤسس الطريقة الأحمدية الإدريسية الذي كان من تلامذته الشيخ إسماعيل الولي مؤسس الطريقة الإسماعيلية بالسودان.
7. كما كان هناك الحاج موسى ود حسوبه ويحي الشاوي وسعيد ولد شوشاي وعلي اللبدي وغيرهم كثير.

قد كانت هذه الكوكبة النيرة من علماء المغرب الذين وفدوا إلى السودان تمثل المدرسة الأولى التي نهل منها مشايخ أهل السودان من مختلف العلوم ، إننا إذا دققنا في نشاط هؤلاء العلماء نجدهم قد تبحروا في مختلف علوم

[1] انظر: عبدالله البشير ، ورقة علمية قدمت ضمن الدروس البحثية ، بعنوان عمل المغاربة بالسودان وطرق العرفان ، نشرى زايريسن 2009/9/16م.

اللغة والشريعة والقضاء وغيرها ، حيث كان لنشر العلم لوجه الله وبكل إخلاص ، وربما تحمل الشيخ نفقات من أجل نشر علمه ، وكان كل شيخ له تلاميذ ومريدون أخذوا من علمه وأخلاقه وسمته.

ثانياً: نماذج لجهود ومشايخ المذهب من أهل السودان:

بعد دخول الفقه المالكي للسودان كما ذكرنا على أيدي مشايخ وعلماء المغرب وصعيد مصر ، تولي زمام المبادرة لنشر الفقه المالكي عدد من مشايخ أهل السودان ممن تتلمذ على أولئك النفر الكريم ، فكانت لهم جهود معتبرة في تدريس ونشر الفقه المالكي في مختلف ربوع البلاد ، ولعلي هنا أذكر نماذجاً من هؤلاء الشيوخ وأشير إلى جهدهم في ذلك كما جاء في كتاب الطبقات.

1. الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ صالح بانقا:

هو من بيت تصوف كبير إذ كان أبوه ثالث ثلاثة ، انتهت إليهم قيادة الطريقة القادرية في السودان ، كما ذكر ود ضيف الله ، ولذا فلا عجب ان بدأ بالتصوف حتى بلغ فيه مبلغ الرجال ، قال صاحب الطبقات وأول قراءاته قرأ "الرسالة" على الفقيه عبدالهادي تلميذ الفقيه محمد ولد الفقية مدني ، وأعطاه من المال والدار ماشاء ، ثم قرأ خليل على جماعة ، وختمه على الفقيه ضيف الله بن علي بن عبدالغني ، ثم ذكر صاحب الطبقات ، أنه ما من فن من الفنون إلا درسه ، من نحو وصرف وتوحيد وتجويد ، حتى حكم بن عطاء السكندرى ، حتى صار في كل فن فرد زمانه ، وقرأ عليه عدد من أعيان زمانه منهم عبدالله بن صابون ، حماد بن الغوبية والفقيه على الشافعي ، والفقيه هارون ولد أبوحصى ، والفقيه فرح بن تكتوك ، والفقيه أبو زيد إبن الشيخ عبدالقادر والفقيه أرباب الخشن ، وأغلب هؤلاء من الأعلام ، ويلاحظ أن طلب العلم لم يكن يقتصر على عالم بعينه ، بل كانت الرحال تشد إلى العديد من رجال العلم ، فالشيخ أرباب بجانب جلوسه للشيخ عبدالرحمن جلس وأخذ العلم من الشيخ الزين بن صغيرون كما جلس للشيخ ود برى في العقائد ، عليه فإننا نقول أن الشيخ عبدالرحمن إبن الشيخ صالح بإن بانقا كان عالماً موسوعة في كل العلوم ، وعلى ذلك كان صاحب مكتبة كبيرة نادرة في ذلك الزمان الذي كان يعتمد على النسخ بالإيدي ، فقد ذكر صاحب الطبقات ان له ست خزانات كلها ملئ بالكتب من مصر والحجاز وغيرها من البلاد.

2. الشيخ حمد المجذوب:

حفظ الكتاب على الفقيه حمد بن الفقيه عبدالماجد ، وتفقه في "خليل" ، "الرسالة" على الفقيه محمد بن مدني محمد ، وعلى القراي ، وعلم الكلام على الحاج سعد وحج إلى بيت الله الحرام وسلك الطريق على الشيخ علي الراوي تلميذ سيد أحمد بن ناصر الشاذلي وانتصب للتدريس في جميع الفنون والفتاوى والأحكام والسلوك

في طريق القوم عجباً من العجب والزهد والذكر وملازمة دلائل الخيرات والقيام بمصالح المسلمين وأعطاه الله القبول التام عند الخاص والعام ، وكان كثير الشفاعة عند الملوك والسلاطين وكان لا ترد له شفاعة .

3. الشيخ أبو دليق:

إنه أحد شيوخ العلم الكبار ، يدل على ذلك أنه أحد تلاميذ الشيخ عبدالرحمن بن جابر الأربعين الذين بلغوا شأواً في العلم والتصوف، والشيخ أبو دليق جعلي سكن دنقلا في بلاد البديرية الدفار ، وذريته تعرف بأولاد أبو دليق.

4. الشيخ مدني بن محمد بن مدني الناطق:

إنه ابن الشيخ محمد بن مدني الناطق ، وقال صاحب الطبقات عن مدني هذا: شيخ الإسلام والمسلمين وبرع في الفقه عن أبيه وعن أجداده وأولاد أم جدين محمد ومدني ، وشدت إليه الرحال وضربت إليه أكباد الأبل ، وطال عمره واشتهر ذكره ، وأخذت عنه الأبناء والاباء ، وكان صاحب غني كثير يسوق نحو خمس عشرة ساقية ، ومن تلامذته: حمد بن المجذوب ، والفقيه محمد بن الريدة العودي ، والشيخ عبدالقادر ولد ضوين السياقي ، والفقيه دفع الله بن عبدالحفيظ والفقيه حمد بن علي الغبشاوي ودفن بنورى مع آبائه الكرام ، والمذكورين من كبار العلماء.

1. الشيخ مالك بن الشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو:

فهو إبن عالم نحرير درس عند أولاد جابر ، كما درس في مصر ، فالرجل ورث العلم كابراً عن كابر ، كما يذكر صاحب الطبقات برع في "خليل" و"الرسالة" والفرائض على أبيه الشيخ عبدالرحمن ، وكان عالماً عاملاً بعلمه شرح خطبة خليل شرحاً جيداً ووضع ثلاث حواشى على الميراث ، كبرى ووسطى وصغرى ، فهن في غاية الإفادة وانتفعت به المبتدئين والمنتهين ، وسكن الزروة ، وبنى مسجداً لتدريس "خليل" وتفقهت عليه جماعة وقبره طاهر يزار ، البيت بيت علم توارثه الأبناء ثم الأحفاد.

6. الشيخ ضيف الله بن الفقيه محمد بن الفقيه العالم النحرير الولي الشيخ ضيف الله:

هو والد صاحب الطبقات وسماه أبوه على جده تفاؤلاً ، حفظ الكتاب على أبيه محمد ، وبرع في الفقه على الفقيه بلال والفقيه أبو الحسن ، وقرأ التوحيد على الفقيه إدريس إبن بله الكتابي تلميذ الفقيه الشيخ أرباب وسلك طريق

الصوفية على الشيخ الخوجلي وأنتصب لتدريس الفقه والأحكام والفتوى من سنة ثلاثين بعد المائة والف 1130هـ ، إلى أن توفي سنة اثنين وثمانين بعد المائة والف ، وكان ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والعبادة ومن زهدة تركه للبيع والشراء والأسفار وطلوع الأسواق ، ولا وقف على باب السلطان لغرض دنيوي وكانت مجاهدته في التدريس والعباده.

7. عبدالرحمن ولد دويج حاج الدويحي:

قال عنه صاحب الطبقات: ولد بدار الشايقية وحفظ الكتاب وأحكامه على الفقيه عبدالرحمن بن أسيد ، وقرأ "خليل" و"الرسالة" والعقائد : فأبوه محمد ولد حاج بعد ما فرغ من التعليم ، جلب لشيخه حصاناً مجهزاً بقواد وسلطيته ، ودرس في بلاده "خليل و"القرآن" الشيخ عبدالرحمن ولد دويج يعتبر من فقهاء الشمالية الذين أخذوا العلم من مظانه ثم رجع إلى أهله لتعليمهم ، وتدرج بهم حتى درسهم مختصر "خليل" الذي برع فيه شيخه عبدالرحمن بن أسيد ، وانظر إلى تكريم الفقهاء في ذلك الزمان فحاج الدويجي عندما أكمل أبنه دراسته في القرآن والفقه وأجازه شيخه إبن أسيد ما كان من حاج الدويحي ألا أن أحضر فرساً بكامل جهازه حتى القواد المعروف باللجام مع سلاح حربه سلطية سروراً وتعبيراً عن فرحته بما ناله ابنه من القرآن والفقه ، فكان هذا التكريم المعتبر [1].

وهذا التكريم المعتبر يبين لنا مدى حب أهل السودان للعلم والعلماء وتقديرهم لهم ، وهذا ظاهر وملموس من خلال طاعة التلميذ لشيخه واحترامه وتقليده له في كل شيء ، إذ يراه القدوة والمثل الأعلى. وهذا التقدير والاحترام مما يرسخ العلم والقيم لدى التلميذ إذ يتأثر التلميذ بشيخه في الزهد والعبادة والسلوك .

ولعل القارئ الكريم يلحظ في نهاية هذا المبحث أن الفقه المالكي قد انتشر في معظم ربوع السودان بفضل الله تعالى ثم بجهود هؤلاء المشايخ الذين تتلمذ على يد كل منهم مجموعة من طلبة العلم ، وأن هؤلاء المشايخ لم يبخلوا على تلاميذهم بما حباهم الله به من علم ومعرفة وأدب وسلوك وزهد ، ثم انتشر هؤلاء التلاميذ بكل أنحاء السودان معلمين لغيرهم فعم الخير والعلم ولله الحمد والمنة.

[1] انظر للمزيد: ابن ضيف الله، الطبقات ، الطبعة المحققة بتحقيق د. يوسف فضل.

المبحث الثالث: أثر الفقه المالكي في تكوين الهوية الثقافية السودانية

يعد الفقيه المالكي أحد العناصر الرئيسية المكونة للهوية الثقافية والفقهية السودانية وذلك لانتشاره الواسع تاريخياً وجغرافياً في بلاد السودان وما جاورها من مناطق تتأثر وتؤثر في بلاد السودان تشمل منطقة شمال أفريقيا شمالا وإريتريا شرقاً وكذلك صعيد مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وغيرها.

كما امتاز الفقه المالكي بقوة تأثيره في مختلف جوانب حياة المسلمين ، وذلك لاتساع إصوله كماً وكيفاً ، فهو أوسع مذاهب الفقه أصولاً ، إذ تزيد أصوله عن ستة عشر أصلاً تشمل الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، وعمل أهل المدينة ، وقول الصحابي ، والإستحسان ، وسد الذرائع والإستصحاب ، وخبر الواحد ، والمصالح المرسلة ، ومراعاة الخلاف ، وشرع ما قبلنا ، والأخذ بأقل ما قيل ، والبراءة الأصلية ، والعرف والعادة ، وهذا من حيث إتساع أصوله كماً ، أما إتساعها كيفاً فهو في إتساعه في المصدر الواحد من هذه الأصول ، ولم يضع من الشروط المقيدة من الأصل الواحد إلا شروطاً نادرة ، ويكفي دليلاً على ذلك أن أصل الكتاب يستدل بنصه وبظاهره وبمفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة فيه ، وبالتنبيه على العلة ، بخلاف غيره من فقه المذاهب الأخرى كالحنفية الذين لا يأخذون بمفهوم المخالفة في الكتاب والسنة [1].

وهذا الإتساع هو الذي أدى إلى الرقي في حضارة المسلمين في الأندلس وإنتشار العلوم والآداب والفنون المختلفة ، من حضارة المعمار والبناء وتفشي العلوم الأخرى التي أدت إلى ازدهار أوروبا. [2].

وكان لإنتشار المذهب المالكي جغرافياً في بلاد السودان ، نظراً لإتصال السودان بالمغرب في العهود الأولى مع إنتشار الإسلام في السودان على أيدي التجار والمهاجرين العرب والمغاربة والأندلسيين ، أثر كبير تمثل في التواصل الفكرى والإجتماعي والثقافي الكبير ، فقد كان السودان هو المعبر الأقرب والأكثر أمناً والآهل بالسكان ، مما أعطي أهله فرصة التواصل خاصة مع حملة العلم المغاربة الذين نقلوا الطريقة الشاذلية والطريقة التجانية والطريقة الأحمدية إلى السودان ، كما حدثت هجرات معاكسة أيضاً من بلاد السودان إلى المغرب فاستقر عدد من السودانيين في المغرب خاصة بمدينة فاس ، وتتلمذوا على أيدي فقهائها وتمت إجازتهم من علمائها ، وتمثلت الجهود المغربية في نشر العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي بين السكان المحليين ، وظهر ذلك في تبني المدونة

[1] انظر: على محمد معوض ، عادل احمد عبدالموجود ، تاريخ التشريع الاسلامي ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2000م ، ص 107-108.

[2] المرجع السابق ، ص420-421.

الكبرى في الفقه المالكي ، أصلاً للمذهب ، وعمدة الفقهاء والقضاة في الإفتاء والقضاء ، وبدأ تلقين الناس الدين الصحيح على المذهب المالكي ، وتبادل الناس تدريس المدونة وشرحها لإبن عمران ، وتدريس الرسالة لأبي زيد القيرواني.[1]

الأثر الثقافي في مجال التعليم:

تذكر المصادر عدداً من علماء المذهب المالكي الذين تلقوا العلم بالأزهر الشريف في مصر أيام العصر المملوكى ثم رجعوا إلى السودان واشتغلوا بنشر العلم والمعرفة في أرجاء البلاد نذكر منهم:[2]

- الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبي ملاح الكباني، جاء مصر ودرس في الأزهر الشريف مختصر خليل ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد بعد ذلك إلى السودان لينشر العلم هناك.
- كما جاء محمود العركي : (بداية القرن العاشر الهجرى) ، جاء إلى مصر لدراسة المذهب المالكي في الأزهر ، ثم عاد إلى السودان وأسس خمس عشرة خلوة على منطقة النيل الأبيض التي إتخذها مركزاً لنشاطه الديني والتعليمي.
- كذلك الشيخ عمار عبدالحفيظ : من مواليد سنار ، سافر إلى مصر والحجاز لطلب العلم ، وقرأ جملة من العلوم الفقهية والنقلية والعقلية ، كعلم الأصول والنحو والمنطق والتصوف ، ثم رجع إلى البلاد وكان يأتيه الطلاب من بلاد التكرور ومن مختلف أنحاء البلاد.
- ومنهم أيضاً الشيخ عيسى بشارة الأنصارى : الذي درس بالأزهر الشريف توفي في أوائل القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلاد وبرع في المذهبين الشافعي والمالكي ، وعند رجوعه أسس مدرسة ومسجداً بالجزيرة "كترانج" وكان بجانب نشر المذهب المالكي وفقهه ، كان يدرس القرآن ، والحديث والتفسير.

ويذكر الدكتور صبرى خليل أستاذ فلسفة القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم أثر المذهب المالكي على التدين الشعبي السوداني ، وذلك من خلال خصائص المذهب المالكي التي يمتاز بها ، والتي إستمدها من بعض قواعده ، حيث أثرت تلك الخصائص في المجتمع السوداني ووسمته بطابعها ، ومن ذلك التعايش مع الشرائع السماوية السابقة ، من خلال إباحه الإستفادة منها في حال عدم تعارضها مع الشريعة الإسلامية ، إستناداً إلى قاعدة (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ) التي اعتبرها مالك اصلاً من أصوله التي بنى عليها مذهبه ومنها رفض

[1] انظر عبدالله البشير ، عمل المغاربة بالسودان ، ورقة علمية ، مرجع سابق.

[2] انظر: الدكتور / محمد عبدالعظيم الخولي ، الازهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي 923،1482هـ -1517/1250م ، نشر مكتبة الثقافة الدينية.

تكفير المسلمين بالذنب والهوى ، فقد سئل مالك عن المعتزله أكفارهم؟ قال من الكفر فروا وهذا واضح في التسامح الديني الذي يسود المجتمع السوداني الآن ، كما أن المذهب لايتوقف عند الخلافات المذهبية بل يتجاوزها مما أدى إلى قدر من الوحدة إستناداً إلى بعض القواعد مثل عدم الإنكار في المسائل المختلف فيها ، وأنه إذا لم يوجد نص للمذهب في المسألة يعمل فيها بالفقه الشافعي أو الحنفي[1].

ومما يؤكد إنتشار المذهب المالكي في السودان وقوة تأثيره على ثقافة أهل السودان تلك المراجع والكتب الخاصة بالمذهب والتي كانت تدرس وتتداول بين أيدي العلماء والطلاب ، ونذكر منها الاتي: [2].

1. مختصر خليل لإبن الضياء خليل بن إسحق الكردى المصرى.
2. رسالة بن أبي زيد القيرواني.
3. المدونة لأسد بن الفرات.
4. شرح المدونة لابن عمران.
5. فتح الجليل على مختصر خليل لمحمد بن ابراهيم التتائي.
6. مختصر الاخضرى في العبادات للاخضري.
7. شرح مختصر الاخضرى لمختار بن جودة الله.
8. حاشية على شرح الرسالة لعلي بن محمد الاجهودي.
9. حاشية على شرح مختصر خليل لابن عبدالله الخراشتى.
10. الشرح الكبير للخراشي.
11. الشرح الصغير للخراشي.
12. شرح الشراخيتي على العشماوية.
13. شرح الزرقاني.
14. الحاشية لمحمد بن عبدالله بن محمد الاغبش السوداني.

[1] انظر مقال : د. صبرى محمد خليل ، التدين الشعبي السوداني والمذاهب المناقضه له ، نشر في سودانيل يوم 2017/1/18م . https://www.sudaress.com

[2] عون الشريف قاسم ، الاسلام والعربية في السودان ، طبع دار الجيل ، بيروت ، 1989/409م، ص29.

وتأكيداً لهذا الأثر الثقافي والفكري في الهوية السوادنية فقد تقرر انشاء ثلاثة (كراسي) مجالس علمية دائمة في السودان لتدريس الفقه المالكي والاهتمام به عبر اقامة الدورات العلمية وتفريغ الطلاب لدراسته على نفقة الدولة وذلك من خلال الملتقي العلمي الذي عقد بالعاصمة السودانية الخرطوم لإحياء المذهب المالكي في البلاد . كما تحدث في الملتقي السيد/ أزهرى التجاني وزير الإرشاد والأوقاف وقتها مؤكداً على فاعلية فكرة الكراسي العلمية ومبيناً دور المذهب المالكي في توحيد الحالة الدينية لأهل السودان باعتباره يمثل المشترك الفقهي لاهل البلاد[1].

وهذا يدل على عمق أثر المذهب في حياة الناس الدينية والاجتماعية والثقافية بسبب جهود هؤلاء المشائخ من أعيان الفقه المالكي في السودان.

أثره الثقافي في القضاء:

ظهر الأثر الثقافي للفقه المالكي في السودان في جانب القضاء حيث كان الأغلب السائد هو القضاء على الفقه المالكي ومثال ذلك : قضاء الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ النويرى الذي أبطل بموجبه هبة المرأة بلغت ثلث مالها قاصدة بذلك ضرر زوجها معتمداً في قضائه هذا على قول الإمام مالك وإختيار إبن حبيب له[2].

ومن مشاهير القضاة على الفقه المالكي الشيخ عبدالله بن دفع الله العركي الذي ولاه الشيخ عجيب القضاء فباشرة بعفه ونزاهة ، كما يقول صاحب الطبقات . وقد حج الشيخ عبدالله عدة مرات وإشتهر في الحجاز بالعلم ودرس الفقه المالكي في مقام الإمام مالك رضى الله عنه [3].

ومنهم كذلك الشيخ محمد القناوى المصري الذي درس الفقه المالكي على شيوخ الأزهر ، الشيخين سالم السنهورى ويوسف الزرقاني وقدمإلى السودان في أيام الشيخ عجيب المانجلك واستقر في مدينة بربر ودرس بها الرسالة ثم ولي القضاء لعفته ونزاهته فباشرة بعفه ونزاهة ، وحرم الرشوة على الحكم ونهي عنها[4].

ومنهم القاضى ضيف الله بن محمد ضيف الله الذي نبغ في الفقه المالكي وتفوق فيه على أقرانه فكان تفوقه في الفقه هذا هو الذي أهله لتولي القضاء[5].

---

[1] انظر صحيفة الجزائر الجيدة ، بتاريخ 2009/6/17م ، اعمال الندوة التي نظمت في فبراير 2009م بالخرطوم.

[2] محمد صالح محي الدين ، مشيخه العبدلاب واثرها في حياة السودان الحضارية والسياسية ، طبع الامانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الاسلامية ، ط2 ، 1438هـ / 217م ،ص445.

[3] انظر ابن ضيف الله ، الطبقات، ص112-113.

[4] المصدر نفسه ، ص 31-32.

[5] انظر : محمد صالح محي الدين ، مشيخه العبدلاب ، المصدر السابق ، ص453.

ومن قضاة الفقه المالكي المشهورين الشيخ القاضى محمد بن ضيف الله الذي إستوعب الفقه المالكي من مصادره حيث درس الرسالة ومختصر خليل وبرع فيهما كما يذكر صاحب الطبقات ويقول لقد انعكست هذه الثقافة على شخصيته فكان نتاجها تقي وزهداً وورعاً ، كما امتدت أثارها إلى المجتمع والقائمين بأمره فأصبح مهاباً عند الفونج وأولاد عجيب وعند الخاص والعام مقبول الشفاعه[1].

وكنموذج لذلك الأثر الثقافي في مجال القضاء ما قام به العلامة المغربي أحمد بن محمد بن ناصر السلاوي الفاسي في تحديث النظام القضائى السوادني وجهوده الإدارية الضخمة التي أعتبرت حجدر الأساس في تشييد وزارة الأوقاف والإرشاد ، وتشجيع عدد من طلبته من علماء السودان على الكتابة والتأليف.[2].

وظل المذهب المالكي ممتداً وجذوره تتعمق منذ دخوله حتى أيام العهد التركي حيث أرسل محمد علي باشا ثلاثة من نخبة العلماء وكان منهم الشيخ أحمد السلاوي المالكي لكي يفتي الناس بالمذهب المالكي[3].

ومن هذا كله يتبين لنا مدى انتشار الفقه المالكي في بلاد السودان من خلال كتب المذهب المنتشرة وفقهائه وقضاته والتأثير الثقافي الواضح لهذه الفئة في المجتمع ، حيث كان المذهب المالكي هو السائد آنذاك وإلى يومنا هذا.

[1] انظر: ابن ضيف الله ، الطبقات ، ص 175.

[2] المصدر نفسه .

[3] انظر عون الشريف قاسم ، الاسلام والعربية في السودان ، ط/ دار الجبل بيروت ، دار المأمون الخرطوم ، الطبعة الاولى ، 1409هـ / 1989م، ص73.

الخاتمة

وتشمل النتائج والتوصيات:

اولاً: النتائج:

1. يرجع اتصال السودان بالثقافة العربية إلى فترة ما قبل الإسلام وذلك عبر العديد من المعابر والطرق.
2. وكان لسـقوط الممالك المسـيحية وقيام دولة الفونج الأثر الكبير في إزدياد الهجرات الإسـلامية والعربية إلى السودان.
3. الأثر الواضح الكبير لعلماء المغرب العربي في نشر الفقه المالكي في السودان.
4. الأثر الكبير لحملات سـلاطين مصـر علي بلاد النوبة في التمهيد للتحول الإسـلامي الذي حدث في السودان.
5. قوة تأثير الفقه المالكي في مختلف جوانب حياة السودانيين الإجتماعية والثقافية والسياسية.
6. كان لاتساع مصادر الفقه المالكي وأصوله وانفتاحه الأثر الواضح في سلوك التسامح الذي يتصف به أهل السودان.

ثانياً: التوصيات:

1. يوصى الباحث الجامعات والمراكز البحثية بمزيد من الدراسات في تاريخ الفقه المالكي في السودان.
2. على الكتاب والباحثين تسـليط الضـوء على مجهودات كثير من الفقهاء والعلماء التي لم تجد حظها في البحث والدراسة.
3. على الكليات الشرعية والجمعيات الفقهية مزيداً من الإهتمام بالفقه المالكي في السودان وهو الفقه الذي يعد من أوسع المذاهب أصولاً وذلك بإنشاء الكراسي العلمية والندوات المتخصصة في الفقه المالكي.
4. على وزارة التعليم العالي والجامعات السـودانية تعزيز العلاقات الثقافية والعلمية ببلاد المغرب العربي باعتبارها المنشأ الذي دخل منه الفقه المالكي إلى السودان.

المصادر والمراجع :

1. أثر التصـوف في تكوين الشـخصـية السـودانية ، عبدالرحمن محمد عبدالماجد والكبيدة ، مطبعة هيثم الخرطوم ، الطبعة الاولى 1434هـ ، 2013م.
2. انتشار الاسلام في افريقيا ، يوسف فضل ، مطبعة دار جامعة الخرطوم للطباعه والنشر ، 1979م.
3. الازهر الشـريف والسـودانيون في العصـر المملوكي 923،1482هـــ -1517/1250م ، تإلف الدكتور / محمد عبدالعظيم الخولي ، نشر مكتبة الثقافة الدينية.
4. الاسلام والعربية في السودان ، عون الشريف قاسم ، طبع دار الجيل ، بيروت ، 1989/409م.
5. البيان والاعراب ما بارض مصر من الاعراب ، أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزى (ت 845هـ) ، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عابدين ، الطبعة الاولي 1961م ، عالم الكتب ، القاهرة.
6. تاريخ التشريع الاسلامي ، على محمد معوض ، عادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2000م .
7. تاريخ الفقه الاسلامي في السودان ، عبدالرحمن الغيث ، شركة مطابع السودان للعملة بدون ذكر سن الطبع.
8. تاريخ المذاهب الاسلامية ، محمد ابو زهرة ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة 1430هـ -2009م.
9. تاريخ وحضارات السودان ، الشاطر بصلي عبدالجللي ، نشر المكتبة العربية ، القاهرة ، 13092هـ /1972م.
10. التدين الشـعبي السـوداني والمذاهب المناقضـه له ، صـبرى محمد خليل ، نشـر في سـودانيل يوم 2017/1/18م . https://www.sudaress.com
11. السلوك لمعرفة دول الملوك ، المقريزى ، نشر وتحقيق محمد مصطفي زيادة ، القاهرة 1939م.
12. السلطة السنارية ودورها في الحياة الاسلامية السودانية ، مهدي رزق الله ، مقال بمجلة الدار التي تصدر عن ادارة الملك عبدالعزيز بالرياض ، العدد الاول ، السنة السادسة عشر ، 141هـ.
13. صحيفة الجزائر الجيدة ، بتاريخ 2009/6/17م ، اعمال الندوة التي نظمت في فبراير 2009م بالخرطوم.
14. كتاب الطبقات بخصوص الاولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، ابن ضيف الله ، تحقيق يوسف فضل.
15. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثر ، أحمد بن علي عبدالقادر المقريزى : دار صادر بيروت بدون تاريخ.
16. مشـيخة العبدلاب واثرها في حياة السـودان الحضـارية والسـياسـية ، محمد صـالح محي الدين ، طبع الامانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الاسلامية ، ط2 ، 1438هـ / 217م .
17. مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ، يوسف فضل .
18. ورقة علمية قدمت ضمن الدروس البحثية ، بعنوان عمل المغاربة بالسودان وطرق العرفان ،عبدالله البشير ، نشرى زايريسن 2009/9/16م.